الرجل الآخر

محمود سالم

الرجل الآخر

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الرجل الآخر

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٨٩٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الخدعة!	١١
الرحيل!	١٧
ملوك المارجوانا!	٢٣
ما لم يكن في الحسبان!	٢٩
العميل الأفعى!	٣٣
النهاية!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الخدعة!

كان الكهف السري كخلية النحل، الكل يعمل في نشاط وخفة، وكان الشياطين قد انقسموا إلى مجموعتَين بناء على تعليمات رقم «صفر» ... كانت المجموعة الأولى تضمُّ «خالد» و«باسم» و«رشيد» و«مصباح» ومعهم «زبيدة» ... بينما ضمَّت المجموعة الثانية «أحمد» و«عثمان» و«فهد» و«قيس» و«بو عمير» ومعهم «إلهام»، وكانوا يستخدمون سلاحًا جديدًا من نوعه، وكان السلاح الجديد الذي يتدربون عليه ... في غاية الغرابة ... به قدرٌ كبير من الخداع والتضليل البصري، الأمر الذي جعلهم في غاية الحماس وهم يستخدمونه بكل دقة.

لم يكن السلاح الجديد سوى اختراع أُعدَّ مخصوصًا للشياطين عبارة عن سُحُب رمادية يُحدثها الشيطان بنفسه عندما يضغط على زرٍّ صغير بعلبة بحجم علبة الكبريت، فتنبعث منها بسرعة قياسية هذه السحبُ الرمادية التي تجعل الشيطان يرى كلَّ الأشياء من حوله، ولا يستطيع أن يراه أحد.

كانت المجموعة الأولى هي التي تستخدم السلاح الجديد، بينما كانت المجموعة الثانية تحاول اكتشافَ أيِّ نوع من الثغرات بشتى الوسائل في هذا السلاح الجديد ... سواء بالأقنعة أو بوسائل الرؤية المختلفة. وظهر بوضوح قوة هذا السلاح الجديد ... فقد تغلَّبَت المجموعة الأولى على المجموعة الثانية في كلِّ الالتحامات التي قامَت بينهم، وقال «عثمان»: كيف تتخيل أنك تحارب شيئًا غير مرئي بينما هو يراك ويسدِّد لك الضربات من كلِّ اتجاه؟

كان الوقت يقترب من منتصف النهار عندما تعالَى صوت الجرس الذي يعرفه الشياطين ... وسرعان ما توجهوا إلى قاعة الاجتماعات الكبرى بأسفل الكهف السري.

كان رقم «صفر» بانتظارهم ... قال محيِّيًا الشياطين: مرحبًا بكم ... لقد أتممتم مهمتكم الأخيرة على أكمل وجه وبسرعة لم أكن أتوقعها برغم ثقتي بكم وبكفاءتكم ولكن!

لقد تدخَّل معكم الحظ بشكل جيد ... واستطعتم القبضَ على «كارلوس روبيرتو» ... الرجل ذو السبعة أرواح وقد انتهت السلطات «الأرجنتينية» من التحقيق معه، وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها أحد ... أن «كارلوس روبيرتو» الذي قبضتم عليه ليس هو «كارلوس» الحقيقي!

لقد ظهر فجأة في «كولومبيا» تحت اسم جديد وشكل جديد ... لقد غيَّر «كارلوس» اسمَه إلى «لوكا برازي»، وغيَّر شكلَه تمامًا ليبدأ نشاطه من جديد في بلد يحكمه رجالُ العصابات وتجارُ المخدرات ... و«لوكا برازي» هو اسم أحد رجال العصابات المتوفي ... ولعلكم تعرفونه جيدًا.

إن «كولومبيا» من أكثر بلاد العالم شهرة في تجارة المخدرات بشتى أنواعها، والعصابات هناك قوية ومحكمة التنظيم، مما يجعل القضاء على هذه العصابات أمرًا مستحيلًا، والحكومة «الكولومبية» تعرف ذلك تمامًا، وهي تحاول من حين إلى آخر ضربَ معاقل هذه العصابات التي تحمي بعضها بشكل لم يسبق له مثيل.

صمت رقم «صفر» قليلًا ثم أكمل بعدها حديثَه قائلًا: إن العصابات في «كولومبيا» تنظِّم نفسها بشكل فوري، والحكومة هناك لا تحاول معارضتهم، الأمر الذي يجعلهم كرجال «المافيا» أخطر رجال العصابات على الإطلاق.

يستمر رقم «صفر» في حديثه قائلًا: إن «لوكا برازي» يتحرك الآن بحرية تامة وتحميه مجموعةٌ من الرجال الأقوياء، ولقد أسفر التحقيق الذي أُجريَ مع «كارلوس روبيرتو» الوهمي عن بعض الحقائق، ولكنها للأسف ليست كاملة ... لقد نفَى تمامًا معرفتَه بأحد ... برغم اعترافه الصريح بأنه ليس «كارلوس» الحقيقي وأنه شبيهٌ له فقط ... وليست له أية صلة بعصابات أخرى.

ويسكت رقم «صفر» لحظاتٍ تعالَى بعدها صوتُه العميق قائلًا: إن المجموعة التي ستسافر إلى «كولومبيا» في أقرب وقت تضم «باسم» و«رشيد» و«مصباح» ومعهم «خالد» و«زبيدة»، ولعلكم عرفتم الآن السرَّ في اختياري لهذه المجموعة ... ولمزيد من التوضيح أقول: إن هذه العصابات على قدر كبير من الوعي، ومن المؤكد أنها عرفَت أشكال الذين قاموا بالمهمة الأولى في «الأرجنتين»، وكان لا بد من خداعهم بمجموعة أخرى حتى يتسنَّى لهم حرية الحركة دون مراقبة.

أكمل رقم «صفر» حديثَه: إن السلاح الجديد الذي اخترعه العلماء ليكون أولَ اختراع من نوعه في العالم، وقد تم اختراعه مخصوصًا لكم ليجعلكم في مأمن أولًا من هؤلاء الأشرار

عند الالتحام بهم سوف يعطيكم الميزة الكبرى التي تجعلكم تُلقون القبض عليهم والتأكد من شخصياتهم، إنني أعرف مدى ما أصاب «أحمد» ... من المفاجأة في استبعاده لأول مرة منذ أن أُنشئَت منظمتنا الخيرية ... ولكن ما العمل إذ كان من الضروري استبعاده؟!... وأكمل رقم «صفر» قائلًا: عليكم بالمزيد من التمرينات على السلاح الجديد وكيفية استخدامه على أن يكون التركيز على المجموعة المسافرة إلى «كولومبيا»، ولمزيد من المعلومات عن المهمة القادمة والتي أسميها «لعبة النهاية» لنا لقاء آخر.

سمع بعدها الشياطين صوتَ أقدام زعيمهم الخفي وهي تختفي رويدًا رويدًا، وساد الصمتُ قبل أن ينصرف الشياطين من القاعة، وقد عَلِقت برءوسهم الأسئلةُ والاستفسارات حين صاح «عثمان» وهو يداعب «أحمد»: هارد لك يا صديقي، إنني من المستبعدين أيضًا.

فابتسم «أحمد» وهو يقول: برغم المفاجأة التي لم أكن أتوقعها إلا أنني لستُ حزينًا؛ فنحن جميعًا على قدر واحد من الكفاءة، ولعلها تكون المرة الأولى والأخيرة التي أُستبعد فيها ... ردَّ «بو عمير» على كلام «أحمد» قائلًا: إن من المؤكد أن «كارلوس» الوهمي له صلة وثيقة بـ «كارلوس» الحقيقي، ومن المرجح أنهم قد التقطوا لنا الصور، وميَّزوا الأصوات، فكان من الصعب اشتراكنا في هذه المغامرة مهما كانت درجة إجادتنا للتنكُّر.

أيَّدَته «إلهام» قائلة: إن ما يقوله «بو عمير» صحيحًا، وأكملت: لقد كان اختيار الزعيم صائبًا تمامًا، وما علينا إلا أن نتمنَّى لهم التوفيق.

لم تكَد «إلهام» تنتهي من جملتها حتى انطلق الشياطين صوب ساحة التمارين ليتدربوا على السلاح الجديد الذي سيكون له أكبر الأثر في مغامرتهم الصعبة بـ «كولومبيا».

كان «باسم» و«رشيد» و«مصباح» ومعهم «خالد» يحملون هذه العلب الصغيرة، بينما كان يواجههم «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير»، وكان «أحمد» ممسكًا بمسدس حقيقي، بينما أمسك «بو عمير» خنجرًا طويلًا، وداعب «عثمان» كرتَه السوداء الجهنمية، ونظر لـ «خالد» وهو يردِّد: سنرى الآن ماذا يفعل سلاحك أمام كرتي التي لا تخطئ أبدًا.

أعلنَت «إلهام» بعدها بدْءَ النزال، وضغط بسرعة «باسم» و«رشيد» و«خالد» بسرعة على زرٍّ صغير بهذه العلب العجيبة، وتعالَى بعدها صياحُ «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير» ... لقد حجبَت هذه السحب الرؤيةَ تمامًا عن «أحمد» و«بو عمير» و«عثمان»، ولم يستطع «عثمان» أن يُطلق كرتَه، بل أخذها منه «باسم» بمنتهى السهولة دون أن يراه ... وكذلك فعل «خالد» مع «بو عمير»، لقد سحب منه الخنجر دون أية مقاومة، وتعالَى صوتُ «أحمد» منهيًا النزال وهو يقول: انتهى ... استوب ... المعركة ليست متكافئة.

لم تمضِ لحظات حتى توقَّفَت السحب المنبعثة من العلب الصغيرة، وظهر «خالد» و«باسم» و«رشيد» من جديد، وكانوا يُمسكون الأسلحة التي كانت مع «أحمد» و«بو عمير» و«عثمان» ... وهذا ما يؤكد فعالية هذه الخدعة الجديدة وقدرة الشياطين على استخدامها.

قضى الشياطين بقية الوقت في التحدث عن قدرة هذا السلاح العجيب أو السحب «العفريتية» كما أطلق عليها «عثمان».

كانت الساعة تقترب من أخريات الليل حين أوى الشياطين إلى مخادعهم ومخيلتهم تمتلئ بصراعات المغامرة الجديدة «لعبة النهاية»، والتي سيُلقون فيها القبض على الزعيم الحقيقي «كارلوس روبيرتو» ... أو «لوكا برازي» الاسم الجديد.

أشرقت شمس النهار على الكهف السري ... في يوم صحو اعتدلَت فيه درجة الحرارة، وأصبح الطقس في أبهى صورِه حين صحَا الشياطين من نومهم تباعًا، وذهبوا لتناول طعام الإفطار بعد أن انتهوا من الاغتسال والقيام بالتمارين الرياضية اليومية.

كان رقم «صفر» قد حدد ميعاد الاجتماع في الحادية عشرة صباحًا كما شاهدوها عبر شاشات الكهف السري الفسفورية، وما إن دقَّت الساعة الحائطية لتُعلنَ عن الحادية عشرة حتى سارع الشياطين إلى القاعة الصغرى الدائرية.

كان رقم «صفر» بانتظارهم حين دخلوا القاعة ... وأتاهم صوتُه العميق وهو يرحب بهم ويبدأ الاجتماع قائلًا: لقد حان وقت التحرك ... ففي الغد ستنطلق المجموعة المتفق عليها إلى «باريس» عبر الخطوط «المصرية» للطيران، وفور هبوطها بمطار «شارل ديجول» سيكون بانتظارهم أحد رجالنا، ستقضون بعضَ الوقت هناك بـ «باريس» عاصمة النور والأزياء، وستستقلون الطائرة المتجهة رأسًا إلى «كولومبيا» وهناك ... صمت رقم «صفر» لحظات قبل أن يُكمل حديثه: أقول عندما تَصِلون إلى «كولومبيا» وفور هبوطكم من الطائرة ستجدون أحد رجالنا بانتظاركم، وسيكون التعامل معه من خلال الإشارات، فكلُّ شيء في «كولومبيا» يدعو للحذر، والعصابات هناك لها ألفُ عين وألفُ أُذُن.

أما من ناحية عميلنا فستتعرفون عليه بسرعة؛ فهو حليق الرأس تمامًا، بينما تغطِّي ذقنه مساحة وجهه ... ويرتدي ملابس صيفية برغم برودة الجو هناك، وسيكون بصحبته كلب صغير بنفس لون ملابسه البيضاء، سيتجه إليه «خالد» فور رؤيته ويشير إلى الكلب الصغير بعلامة الإعجاب وهو يضحك، ثم يرفع أحد أصابع يده عاليًا دون أن يتحدث ويُكمل السير ... في نفس الوقت التي ستتبعون فيه «خالد».

بعدها سيكون اللقاء بينه وبينكم خارج المطار ... سيرسل لكم سيارة سوداء من نوع «كاديلاك» الأمريكية، وسيقوم سائقها بالتحية وهو يردد اسمه «ألوفس»، ومع «ألوفس»

عميلنا هناك ويُدعى «كازان» ستعرفون كلَّ شيء عمَّا يدور بخاطركم ... وأكمل رقم «صفر»: أنصحكم بالحذر، وأتمنَّى لكم التوفيق ... اختفى بعدها صوت رقم «صفر» ... إثر تلاشي حركة أقدامه المنتظمة.

نهض الشياطين بسرعة واتجهوا إلى غُرَفهم ... كان «خالد» هو قائد المجموعة المتجهة إلى «كولومبيا»، وقد شعر بثقل المهمة، فهم لأول مرة يسافرون بدون «أحمد» والمغامرة في غاية الخطورة ... و«كارلوس روبيرتو» أو «لوكا برازي» سيكون في منتهى الشراسة معهم لو تعرَّف عليهم ... خواطر كثيرة عبرت برأس «خالد» وهو في طريقه إلى غرفته.

قرأ «أحمد» بسرعة أفكاره ... وسارع بالقول: لا تخش يا صديقي، وستنجحون في مغامرتكم بإذن الله، بل إنني لا أستبعد أن تأتوا بهذا الداهية إلى هنا حتى نعرف حقيقته بكهفنا السري، فابتسم «خالد» لكلمات «أحمد»، وشعر بشيء من الطمأنينة تسري ببدنه، وانطلق على الفور ليُكمل مهمات السفر ... وحوله رجال المجموعة المسافرة إلى معقل المخدرات في العالم إلى «كولومبيا»!

الرحيل!

كانت شمس هذا اليوم الشتوي كاملة الاستدارة، وأشعتها الذهبية تغمر الزمانَ والمكان كلَّه، وكان الصمت يعمُّ الكهف السري حين انفتحَت بوابته الصخرية العملاقة ودلفت من المقر سيارةُ الشياطين المجهزة التي ستُقلُّهم إلى المطار للتوجه بعدها بالطيران المباشر إلى «فرنسا». كان الشياطين في هذه الأثناء قد أتموا الاستعداد، وقد وقف «أحمد» مودعًا المجموعة المسافرة وعيناه تكسوهما علامات الحزن الممزوجة بالسعادة ... فهي المغامرة الأولى التي ينطلق فيها الشياطين بدونه.

كان «خالد» أول من صَعِد السيارة «الميني باص» المجهزة، وتلاه «باسم» ثم «رشيد» و«مصباح»، وأخيرًا «زبيدة»، ورافقتها حتى السيارة «إلهام»، وقد صاح «أحمد» وهو يناديها ضاحكًا: اهبطي أيتها الشيطانة، ولا داعيَ للتزويغ، وضحك الشياطين جميعًا على مزاح «أحمد» في نفس الوقت الذي هبطت فيه «إلهام»، وانغلق باب السيارة أتوماتيكيًّا، بينما انفتحت البوابة الصخرية ليغادر رجال المجموعة المكان الذي هدأ بعد أن تلاشى هدير السيارة وهي تشقُّ الطريق وتطوي الأرض باتجاه المطار.

مرَّت ساعتان إلا ربعًا قضَتها السيارة بسرعتها المتوسطة حتى شارفَت المطار، وهبط الشياطين منها بسرعة، وتوجَّهوا إلى الطائرة التي كانت تستعدُّ للإقلاع، ولم تمضِ دقائق حتى تعالَى صوتُ محركها العملاق، ثم بدأت السير ببطء على الممر الطويل، وازدادَت سرعتُها تدريجيًّا حتى وصلَت لأقصى سرعة، وتركَت أرض المطار لترتفع في الفضاء الرحب حتى اختفَت ومعها أزيزُها العملاق. كانت الساعة تشير إلى الواحدة ظهرًا حين هبطَت الطائرة العملاقة في مطار «ديجول» ... بـ «فرنسا» ... كانت السماء صافية والجو معتدلًا، ولم تستغرق إجراءات الخروج سوى ثوانٍ معدودة تلاقى فيها رجال المهمة الصعبة بـ «كانتونا» العميل الذي يعرفه الشياطين جيدًا إثر اشتراكه معهم في أكثر من مهمة،

وكانت مهمة «كانتونا» اصطحاب الشياطين في رحلة قصيرة لحين موعد إقلاع الطائرة المتجهة إلى «كولومبيا» في العاشرة مساءً ... وقضى الشياطين نهارهم في زيارة معالم «باريس» السياحية، وقد وقفوا طويلًا أمام برج «إيفل» العملاق، ورأوا «قوس قزح» الذي تمرُّ السيارات بأسفله في مشهد بديع، وقد تناولوا ساندويتشات «الهامبورجر» الباريسية الشهيرة، واشتروا بعض القبعات، ثم صحبهم «كانتونا» إلى إحدى الحدائق المنتشرة في قلب «باريس» عاصمة النور والموضة؛ حيث قضوا بقية الوقت في التأمل ومشاهدة أسراب الحمام وهي تحلِّق في الجو جماعات تذهب وتعود في تسلسل محكم يقوده من حين إلى آخر أحدُ ذكور الحمام القوية.

كانت الساعة تُشير إلى التاسعة حين صاح «خالد» منبهًا الشياطين عن اقتراب موعد السفر إلى «كولومبيا»، نهض الشياطين بسرعة مع كلمات «خالد»، وتوجهوا ومعهم «كانتونا» إلى العربة «الستروين» الفرنسية، واتجهوا إلى نفس المطار «شارل ديجول» ليصلوا في العاشرة إلا ربعًا؛ حيث كانت الحركة في المطار على أشدِّها إثرَ استعداد أكثر من طائرة للإقلاع.

كانت الطائرة المتجهة إلى «كولومبيا» من نوع «الجامبو» الصغيرة، وصَعِد الشياطين ليأخذوا أماكنهم فيها، بينما ودَّعهم «كانتونا» الشاب الفرنسي الأشقر بعلامات النصر، وسرعان ما أُغلقت أبواب الطائرة، وانطلقَت لتغادر أرض مطار «باريس» متوجهة إلى «كولومبيا».

عندما وصل الشياطين إلى المطار ... في قلب العاصمة ... كان الجو ملبدًا بالغيوم، والسحب تحجب وجهَ السماء، وهواء بارد صفح وجهَ الشياطين وهم يهبطون من سُلَّم الطائرة ... متجهين إلى صالة رقم ٢ المعدَّة لاستقبال القادمين ... كان «خالد» أول مَن هبط من الطائرة، وتبعَته «زبيدة» ثم «مصباح» و«رشيد» وأخيرًا «باسم».

رمق «خالد» من بعيد «كازان» كما قال لهم رقم «صفر»، كان قويَّ البنية أصلعَ الرأس تمامًا ذا ذقن صفراء وكثيفة ... كان يرتدي «تي شيرت» أبيض وبنطلونًا من الجينز الأسود، وممسكًا بكلب صغير أبيض اللون ذي شعر طويل ... اقترب منه «خالد» وأشار للكلب بيده اليمنى، ثم رفع أحد أصابع يده اليسرى، وأكمل سيرَه وخلفه بقية الشياطين.

وما إن انتهى الشياطين من إجراءات الخروج حتى تهافت عليهم سائقو التاكسيات، وأخذوا يسألونهم عن وجهتهم، بينما اقتربَت بمحاذاتهم سيارة سوداء كبيرة كان من الواضح أنها من نوع «كاديلاك» الأمريكية لضخامتها.

وأطل من نافذة السيارة قائدها وأخذ ينادي على الشياطين ثم صاح: ماي نيم «ألوفس»، عرف بعدها الشياطين أنه السائق المقصود، فاتجهوا ناحية السيارة، وركبَت «زبيدة» ومعها ... «باسم» و«رشيد» و«مصباح» في المقعد الخلفي، بينما جلس «خالد» بجانب «ألوفس» الذي انطلق بالسيارة، وضحك وهو يرحب بالشياطين قائلًا بلكنة إنجليزية: مرحبًا بكم ... وتوقَّف فجأة، واستأذن الشياطين لشراء علبة تبغ من محلٍّ صغير توقَّف أمامه.

سأل «خالد» «ألوفس»: إلى أين نتجه الآن؟

فقال «ألوفس»: إلى فندق «النجمة الحمراء» كما قيل لي ... ثم ضحك وهو يردِّد: لا تكن قلقًا يا صديقي!

سارت السيارة «الكاديلاك» السوداء في الشارع الرئيسي للعاصمة «بوجوتا»، ثم انحرفَت بعد النُّصْب التذكاري المقام في وسط الشارع العريض ... أمام أحد الفنادق المتوسطة توقَّفَت السيارة وهبط الشياطين منها تباعًا ... كان الفندق مكوَّنًا من خمسة طوابق، ولكنه كان يتسع أفقيًّا عندما لمعَت أضواؤه المختلفة الألوان لتُفصح عن هويته «النجمة الحمراء»، ولم يكَد الشياطين يخطون ببهو الفندق حتى وجدوا أمامهم «كازان»، كان يبتسم وهو يُشير لهم بعلامة معناها: كلُّ شيء معدٌّ لكم ... وسرعان ما اقترب من الشياطين عمال الفندق، فحملوا حقائبهم واتجهوا ناحية المصعد الذي سرعان ما أُضيئَت أنوار شاشة صغيرة، وتوقَّف عن الصعود أمام الرقم ٤، وهذا معناه أن الشياطين يسكنون في الدور الرابع ... انفتح باب المصعد بعدها وحمل عاملو الفندق حقائب الشياطين، وتوجهوا إلى الغرف التي خُصِّصت لهم وكانت بأرقام: ١٠٠٠، ١٠٠٢، ١٠٠٤.

كانت غُرَف الفندق متوسطة الحجم، وحوائطها مطلية باللون الأصفر اللامع الذي أظهر أن الفندق أُعيد تجديده، وكانت كل غرفة بها سريران ومنضدة طعام لشخصين، بالإضافة لدولاب حائط كبير.

واتجه «خالد» إلى شرفة الغرفة، ثم فتحها، وأخذ يراقب نظام الحجرات، وكيف أنها تتصل ببعضها البعض بمجرد عبور الشرفات المتلاصقة.

قال «خالد» بلهجة تقترب من لهجة القائد: والآن علينا ترتيب نظام الغرف، على أن تقوم «زبيدة» بتثبيت أجهزة الاتصال جيدًا بين الحجرات الثلاث حتى يمكننا التعامل مع أي أحداث طارئة وبسرعة ... أكمل «خالد»: «زبيدة» ستأخذ الغرفة رقم ١٠٠٠، و«باسم»

و«رشيد» الغرفة رقم ١٠٠٢، وأخيرًا أنا و«مصباح» في الغرفة الأخيرة رقم ١٠٠٤، ولنُسرع الآن لحمل حقائبنا والتوجه إلى أماكننا.

لم تستغرق ترتيبات النوم وقتًا طويلًا، وسرعان ما غطَّ الشياطين بعدها في نوم عميق ... ليُوقظَهم رنينُ الجرس المتقطع في الصباح الباكر ... كان المتحدث على الطرف الآخر «كازان»، وفي كلمات مختصرة قال: لعلكم أفقتم من جراء الرحلة الطويلة ... ليلة سعيدة ... سنلتقي اليوم في «النادي الدولي» في الرابعة، ستستقلون تاكسيًا من أسفل الفندق، فقط اطلبوا من السائق التوجه بكم إلى النادي ... وهناك سيكون كلُّ شيء معدًّا لاستقبالكم، ولكم تحياتي ... وانتهَت المكالمة السريعة بين «كازان» و«خالد».

انطلق بعدها الشياطين للاغتسال، تناولوا بعدها طعام الإفطار، وقضوا بقية وقتهم في التنزُّه حول فندق «النجمة الحمراء» ومشاهدة التليفزيون «الكولومبي» حتى اقتربت الساعة من الثالثة والنصف حين استعد الشياطين للتوجه إلى «النادي الدولي» لمقابلة «كازان»، كان الجو يميل إلى البرودة حين استقل الشياطين التاكسي متجهين إلى «النادي الدولي»، وكانت الخطة كما رسمها «خالد» تقتضي بأن يتفرقوا بمجرد نزولهم من التاكسي، على أن يتقدم «خالد» بمفرده، ومن خلفه «زبيدة»، ثم يدخل بقية الشياطين واحدًا بعد الآخر.

كان «خالد» يرتدي بذلة أنيقة من اللون الأزرق، وقد وضع سيجارًا ضخمًا بين أسنانه كما يفعل زعماء العصابات وبعض الطبقات الغنية ... ومن ورائه «زبيدة» وهي تحمل حقيبة جلدية ضخمة، بينما ارتدى بقية الشياطين الملابس الجلدية السوداء، وقد تسلَّح كلٌّ منهم بمسدس كاتم للصوت، وقد حمل كلٌّ منهم علبةَ المسحوق السحري الذي يُحدث سحاباتٍ كثيفةً تحجب الشيطان عن الرؤية تمامًا، بينما هو يرى الآخرين بسهولة.

دقائق معدودة قضاها الشياطين في ارتداء ملابسهم، وهبطوا بسرعة درجات الفندق على الأقدام بدلًا من استعمال «المصعد» تحسبًا للمراقبة التي قد يتعرضون إليها برغم أن لا أحد يعرفهم في العاصمة «بوجوتا» سوى «كازان» عميلهم.

أمام «النادي الدولي» توقَّفَت السيارة التي تنقل الشياطين، وهبط «خالد» منها بسرعة ببذلته الزرقاء الأنيقة، وسارَت خلفه على مسافة قريبة «زبيدة» وهي تحمل الحقيبة الجلدية السوداء، بينما دخل بعدها «مصباح»، وبعده بدقائق قليلة دخل «باسم» ثم «رشيد»، وكان «النادي الدولي» هادئًا تمامًا، وقد دل مظهرُه الضخم جدًّا أنه ملكٌ لطبقة الأغنياء أو رجال الأعمال.

كان «كازان» في استقبال «خالد» وسكرتيرته «زبيدة»؛ حيث قادهما إلى إحدى المناضد الخالية، وقد جذب «كازان» كرسيَّين، وصاح وهو ينحني ويرحب بـ «خالد»، في نفس الوقت الذي تلاقت عيناه بعيون آخرين كانوا يجلسون بالمنضدة القريبة منهم.

فَهِم «خالد» بسرعة حديثَ النظرات، وكان من الواضح أن «كازان» يقوم بدور التعارف بين «خالد» وجالس المنضدة ... وأومأت «زبيدة» برأسها وتلاقَت عيناها بعينَي «خالد» لتؤيد ما خطر بباله أو ما يُفكر فيه.

تحدَّث «كازان» بلكنة إنجليزية غير سليمة وبصوت هادئ: إنني أقوم بتنفيذ الأوامر فقط ... واليوم سوف يتم التعارف المتفق عليه بينك وبين مستر «رومايرو» وهو تاجر أقمشة قديم حوَّل نشاطه إلى تجارة «البن» التي تشتهر بها دول أمريكا اللاتينية وخاصة «البرازيل»، وهزَّ «خالد» رأسه موافقًا، وابتسم لـ «كازان» وقال: لا بأس ... وعسى أن يتم الاتفاق على السعر المطلوب في أقصر وقت.

لم يكَد يُكمل جملته حتى فوجئ بأحد الرجال يقترب منه، ثم ينحني ليُحيِّيَ «خالد»، ووقف «كازان» على الفور، وصاح وهو يُشير بيده إلى «خالد»: مستر، وقبل أن يُكمل ... ردَّ «خالد» على الفور «كردغلي» سوري الجنسية، كان «خالد» يتحدث بثقة وبلغة إنجليزية سليمة ... وابتسم الرجل وهو يرحب بـ «خالد» قائلًا: مرحبًا بكم مستر «كردغلي» ماي نيم «رومايرو»، ثم سحب كرسيًّا وجلس عليه، ثم نظر إلى «زبيدة»، وقال: متى نتفق عزيزي مستر «كردغلي»؟ فقال «خالد» وهو ينظر له: وقتما تريد مستر «رومايرو»، وإذا أردت الآن فليس لديَّ مانع.

فضحك «رومايرو» وقال: لا تستعجل يا صديقي؛ فلدينا متسع من الوقت، و«سولا» — وأشار إلى «كازان» — يعرف أين أتحدث وكيف أتفق، ثم أكمل: إنني أردت رؤياك هنا فقط قبل أن نتفق على أي شيء، ثم أكمل وهو يضحك: مجرد تعارف لا أكثر ... وعلى كل حال سأُبلغ «سولا» متى سألقاك. ووقف «رومايرو» على نحوٍ مفاجئ، ثم قال وهو ينصرف: ربما عن قريب ... ثم ختم حديثه قائلًا: وقت سعيد. واتجه إلى حيث كان يجلس ومعه مجموعة ليست بقليلة من الرجال كانت تنظر إلى «خالد» بعيون يملؤها التساؤل!

ملوك المارجوانا!

عندما انصرف الشياطين من «النادي الدولي»، واتجهوا إلى فندق «النجمة الحمراء» كانت المفاجأة بانتظارهم ... ففور دخولهم غُرَفهم شاهد «مصباح» ورقة صغيرة ملقاة من أسفل الباب ... كانت الكلمات المكتوبة عليها بلغة إنجليزية، وكانت تقول: لقائي بك في العاشرة باستراحة الفندق، وكان التوقيع بحرف K.

أمسك «مصباح» بالورقة، واتجه بها إلى «خالد» الذي صاح: لا ليس من المعقول أن يكون مستر «رومايرو»! لقد تركناه هناك، فكيف سبقتنا إلى هنا ... ثم كيف عرف مكاننا؟!

فقال «باسم»: ربما قال له «كازان» عن مكاننا.

ردَّت «زبيدة»: لا ليس من المعقول؛ لأن «كازان» أو مستر «سولا» — كما ناداه «رومايرو» — الذي لا تعرفه يعمل معنا وليس ضدنا، وأكملَت «زبيدة»: إنه من المستحيل أن يفعل ذلك ... وأيَّدها «خالد» قائلًا: معكِ حقٌّ يا «زبيدة» ... وعلى كل حال سنعرف كلَّ شيء في العاشرة، ونظر إلى ساعته وقال: باقٍ من الزمن ساعتان.

كان السؤال الذي يطرح نفسه: مَن هو «رومايرو»؟

هل هو أحد أعوان «لوكا برازي»؟! أو أنه زعيم عصابة جديد؟ أم هو تاجر مخدرات؟ أسئلة كثيرة دارَت بعقول الشياطين، وجعلَت الوقتَ يمضي مسرعًا حين صاح «باسم»: لقد حانت الساعة العاشرة، تُرى مَن في انتظارك يا مستر «كردغلي»؟! وضحك الشياطين و«خالد» يستعد للنزول إلى استراحة الفندق لمقابلة صاحب الرسالة.

كانت استراحة الفندق تعجُّ بالحركة، وقد امتلأت عن آخرها بنزلاء الفندق ... دخل «خالد» بنفس البذلة الزرقاء ونفس السيجار الذي جعله يبدو أكبر كثيرًا من عمره الحقيقي.

جلس على أقرب كرسي صادفه، ثم ترك لبصره العنانَ ليتفحص معظم الوجوه في الصالة المزدحمة، وبالقطع لم يتعرف على أحد، وظل ينتظر لمدة عشر دقائق مرَّت بعد

العاشرة دون أن يرى مستر «رومايرو» ولا «كازان»، وفكَّر «خالد» في الانصراف بعد عشر دقائق أخرى، وقبل أن ينهض اقترب منه أحد الرجال. كان طويل القامة، غزير الشعر، ذا لحية سوداء كثيفة، ويضع على عينَيه نظارة سميكة ... قال وهو يقترب من «خالد»: مرحبًا بك مستر «كردغلي».

على الفور نهض «خالد» ... ومدَّ يده لمصافحة يد الرجل الممدودة الذي صاح من بين أسنانه الناصعة البياض: إنني مبعوث السيد «سولا»، لقد أرسلني لمقابلتك والتحدث معك بشأن لقاء مستر «روم» للاتفاق على شحنة «البن» الذي تنوي تصديرها إلى بلدكم «سوريا» ... فقال «خالد»: لا بأس، ولكنني متى سألتقي بمستر «روم» ...

قال الرجل في حدة: عن قريب ... ولكن كم ستدفع في الكيلو الواحد؟!

فقال «خالد»: لا بد من رؤية البضاعة أولًا قبل أن نتفق على السعر.

فقال الرجل: إن السعر المبدئي الذي يمكنك التفاوض بشأنه خمسمائة ألف دولار. فتظاهر «خالد» أن المبلغ ليس كبيرًا، وقال: لا بأس، على أن تكون البضاعة سليمة مائة في المائة. فضحك الرجل بصوتٍ عالٍ وهو يقول: لا تدفع إلا إذا أعجبَتك البضاعة، ثم ختم حديثه قائلًا: سأنصرف الآن على أن ألقاك غدًا في نفس المكان لتحديد الموعد الذي ستلتقي به بمستر «رومايرو»، وصافح بعدها الرجل «خالد» وانصرف.

كان حديث الرجل مع «خالد» كالومضة، فلم يستغرق سوى ثوانٍ معدودة تركَت بعدها أسئلة ليس لها حدود، فمن يكون هذا الرجل؟ وكيف عرف «خالد» بهذه السهولة؟ ثم هناك تساؤل آخر ... لقد شعر «خالد» بأنه قد سمع ضحكات هذا الرجل من قبل، فأين سمعها؟ وكيف؟

عندما نهض «خالد» وتوجَّه صوبَ المصعد كانت رأسه تعجُّ بالأفكار، توقف فجأة على يد تجذبه من الخلف، فاستدار بسرعة وقد تحرر من اليد التي حاولت الإمساك به، وأخذ وضع الاستعداد للاشتباك، وضحك عندما رأى «باسم» و«رشيد» يقفان خلفه.

لقد هبط «باسم» و«رشيد» لمراقبة الموقف دون أن يدريَ «خالد» ... لقد اعتاد الشياطين أن يفعلوا ذلك تحسُّبًا لأي مفاجأة قد تحدث.

وكان الاجتماع الصغير الذي عقده «خالد» للشياطين بغرفته في منتهى الأهمية ... لقد أجمعوا على أن الموقف يتطور بسرعة غريبة دون أدنى بارقة في الوصول إلى «لوكا برازي» أو «كارلوس روبيرتو» الرجل الذي مات سبع مرات، ثم عاد للحياة مرة أخرى.

قال «خالد»: المشكلة التي تُواجهنا الآن أننا قد نخوض صراعاتٍ مع عصاباتٍ أخرى دون أن نتوصل إلى أية معلومات بشأن «لوكا برازي»؛ ولذلك سأطرق الحديد وهو ساخن.

قال «باسم»: أتقصد السؤال عنه عندما تجتمع بمستر «رومايرو»؟!

قال «خالد» هذا ما أقصده بالتحديد ... ثم أكمل قائلًا: على كل حال لقد علموا أننا نتاجر في «المارجوانا»، وعرفوا أننا ملوك هذا الصنف في بلادنا؛ ولذلك فهم يضعون أعلى سعر لنا.

قالت «زبيدة»: برغم أن هذه المخدرات لا تلقَى إقبالًا مثل «الكوكايين» مثلًا أو «الهيروين»، وأكملت «زبيدة»: إن «المارجوانا» أمريكية الصنع والمزاج!

فضحك «رشيد» وهو يقول: صحيح يا «زبيدة» ما ذكرتيه برغم أنني لم أرَ هذا الصنف مطلقًا.

قبل أن يُنهيَ «خالد» الاجتماع المصغر قال: إن كل ما يُحيرني الآن الاشتباه في هذا الرجل ... ويقصد الرجل ذا اللحية والشعر الكثيف والنظارة الطبية. وأكمل «خالد»: إنني لم أرَه من قبل، ولكن ضحكته ونبرات صوته ليست غريبة على أُذُني.

قال «رشيد»: ربما اصطدمنا به من قبل في أي مغامرة.

ردَّ «خالد»: ربما ... وهذا ما أرجحه.

انتهى الاجتماع بالتوجُّه إلى أسرَّة النوم بعد أن تجاوزت ساعة «كولومبيا» الواحدة بعد منتصف الليل.

عندما استيقظ الشياطين من نومهم في اليوم التالي كان بانتظارهم «كازان» الذي صحبهم في رحلة لمشاهدة شواطئ «كولومبيا».

هناك على شواطئ «البحر الكاريبي» وفي بلدة اسمها «كارتاخينا» قال لهم: لقد قررت أن ألتقيَ بكم بعيدًا عن العيون التي تراقبكم، وخاصة الرجل الجديد الذي انضم إلى عصابة «لوكا»، وصمت «كازان» لحظات، وقال بعدها: إن «لوكا» هو أخطر رجل في «كولومبيا» كلها، وهو متخصص في تجارة «الكوكايين» و«الهيروين» ويصدِّرهما إلى منطقة «الشرق الأوسط» ... لقد وافق «لوكا» على الرجل الجديد الذي انضم لأفراد عصابته وهو عربي الهوية، ولكنني لم أعرف من أيِّ بلد على وجه التحديد وإن عرفت شكله ... فهو قوي الجثة، له لحية كثيفة وشعر كثيف، ويرتدي نظارة طبية سميكة وهم ينادونه بـ «الأفعى» ... لقوته الخارقة وذكائه الحاد.

صمت «كازان» لحظاتٍ تلاقَت فيها عيون الشياطين قبل أن يتحدث «خالد» موجهًا حديثَه إلى «كازان»: ولكن ما علاقة هذا الرجل العربي بمستر «رومايرو»؟ فضحك «كازان» ضحكةً مريبة هزَّت رأسه الأصلع، وقال: العلاقة بين «رومايرو» و«لوكا» السحري!

فقال «باسم» متسائلًا: ومَن هو «لوكا» السحري؟

ردَّ «كازان»: هو نفس الرجل الذي تبحثون عنه، وأكمل: إنه «لوكا برازي» الرجل الذي لا يموت ولم يقترب منه أحد ... بل ربما لم يشاهده أحد سوى بضعة رجال مقرَّبين جدًّا له ... وأعتقد أن هذا العربي الجديد منهم! وأكمل «كازان»: إن مهمتي قد شارفت على الانتهاء؛ فبعد أن يتم اللقاء بينكم وبين مستر «رومايرو» في قصره الفولاذي ... سيكون لقائي بكم في الخفاء، فلديَّ أعمال أخرى أقوم بها.

كانت الشمس قد بدأت في الانسحاب تاركةً وراءها بعضَ أشعتها الذهبية التي تراقصَت مع أمواج «البحر الكاريبي»، وبدَت وكأنها سبائك من الذهب ... تبادل الصعود والهبوط في حركة منتظمة.

قام «كازان» وهو يردد: سيكون لنا لقاء آخر قبل مقابلة «رومايرو» ... فقاطعه «خالد» قائلًا: وما علاقة الرجل العربي ذي النظارة الطبية بمستر «روم»؟ فلمعَت عينَا «كازان» وأجابه: ماذا يدور بخلدك أيها الفتى؟!

إنني لا أعرف شيئًا عن هذه العلاقة ... وعلى كل حال فمستر «روم» له علاقة وثيقة بـ «لوكا» الزعيم، وأكمل «كازان»: وربما يكون هذا العربي قد عرف مستر «روم»، ولكنه ليس متأكدًا من هذه العلاقة.

كان الليل في «كولومبيا» الموحشة يزيدها وحشة ورعبًا ... فالقتل هناك والسرقة لا حدَّ لهما، وتجارة المخدرات تتم علنًا ... والعصابات تتحدى أجهزة الشرطة، ولا تتورع في عمل أي شيء لتحافظ على كيانها.

هبط الشياطين من السيارة التي كان يقودها «كازان» الذي ودَّعهم بابتسامةٍ وهو يقول: إلى اللقاء. صَعِد بعدها الشياطين إلى غرفهم؛ فقد شعروا جميعًا أن المغامرة قد أوشكت على البدء، ثم إنهم أصبحوا ملوكًا للمارجوانا، وعلى هذا الأساس سوف تتعامل معهم عصابات «كولومبيا».

كان السؤال الذي حيَّر الشياطين: ما هي العلاقة التي تربط «كازان» بزعماء هذه العصابات؟ وهل إنكاره معرفة العلاقة بين الرجل العربي ومستر «روم» صحيحة؟

ثم سؤال آخر: هل «كازان» نفسه محل ثقة للزعيم رقم «صفر»؟

كانت هذه الأسئلة تشغل عقول الشياطين وهم يتناولون طعام العشاء في صمت، فقطع «مصباح» هذا الصمت بقوله: لقد تشعَّبَت الخطوط وتشابكَت ... فهل نستمر في العلاقة مع الرجل العربي دون أن يعرف «كازان»؟! أم نتوقف إلى أن يتمَّ اللقاء بيننا وبين مستر «رومايرو» تاجر البن الأبيض؟

قال «خالد»: صحيح ما تُفكر فيه يا «مصباح». لقد تشابكَت الخطوط فعلًا، وأصبحنا الآن في حيرة شديدة، وخاصة بعد لقائي مع العميل العربي الجديد في عصابة الداهية «لوكا برازي» الشهير بـ «لوكا» السحري ...

كانت ساعة الشياطين تقترب من العاشرة وهو نفس الموعد الذي سيلتقي فيه «خالد» أو السيد «كردغلي» بالعميل العربي ...

هبط «خالد» بواسطة المصعد إلى استراحة الفندق، وهناك شاهد العميل العربي يجلس بمفرده، ويحتسي قدحًا من القهوة «الكولومبية» الشديدة المرارة.

ألقى عليه التحية، وجذب كرسيًّا بجواره، وجلس دون أن يتحدث.

كان العميل العربي غارقًا في التفكير ... وفاجأ «خالد» بعد لحظات صمت طويلة بقوله مستر «كردغلي»: سنتقابل مع الزعيم «رومايرو» بعد ساعة.

وفوجئ «خالد» بما يقوله هذا العميل ... وتماسك لحظاتٍ قال بعدها: وأين سيكون اللقاء يا ...

فأجاب العميل العربي: «الأفعى» ... فأومأ «خالد» برأسه موافقًا وهو يقول: كما شئت أيها «الأفعى».

ضحك العميل ضحكة مريبة وهو يقول: فلنذهب الآن!

ما لم يكن في الحسبان!

كانت العاصمة «بوجوتا» غارقة في الأضواء الليلية حين تحرَّك العميل «الأفعى» وبصحبته «خالد»، كانت السيارة «البورش» الألمانية الحمراء بانتظارهم أسفل الفندق، وكان قائدُها شابًّا نحيفًا حادَّ البصر، اقترب من «خالد» ورمقه بنظرةِ ارتيابٍ قبل أن يصعد إلى السيارة التي دار محركُها، واندفع بسرعة جنونية باتجاه بلدة صغيرة تسمَّى «كالي» تُطلُّ على المحيط الهادي ... وكان الطريق المؤدي إلى «كالي» ضيقًا وكثير الانحناءات، ولكن السائق المتمرس تجاوز هذه المنحنيات بخفة غريبة وهو يتمايل يمينًا ويسارًا، وكأنه يقود دراجة بخارية بخفة غريبة، وكان الصمت كأنه اللغة المشتركة بين «خالد» والعميل «الأفعى» ... الذي ظل ينظر لـ «خالد» نظراتٍ عميقة من تحت نظارته السميكة ... ولاحظ «خالد» هذه النظرات، وكان عقل «خالد» أو السيد «كردغلي» يعمل بسرعة شديدة وجهاز اللاسلكي الصغير المثبت بأحد أزرار سترته يُرسل الموجات تباعًا للشياطين، وكان كل ما يؤرقهم ألَّا تبعدَ المسافة عن ثلاثمائة كيلومتر حتى لا يفقدَ جهاز اللاسلكي المسافة المحددة التي يعمل خلالها ...

أدار سائق السيارة «البورش» النحيف شريط كاسيت، وراح يتمايل على نغماته، وأخذ ينظر في مرآة السيارة من حين إلى آخر ... كان من الواضح أنه لا يستريح لرؤية «خالد» أو مستر «كردغلي»، وبعد ثلاثمائة كيلومتر من السير ظهرَت في الأفق القريب بدايات «كالي» البلدة الصغيرة التي تحيطها الأشجار من كل جانب، واقتربت السيارة من «كالي»، ثم انحرفَت قبل أن تدخلها إلى طريق جانبي غير ممهد، وظلت طيلة النصف ساعة تسير في طرق متعرجة، وفجأة فتحت إحدى البوابات الصخرية في قلب أحد الجبال، واندفعت السيارة «البورش» بداخلها ثم انغلقت على الفور.

حدث هذا في ثوانٍ معدودة كانت وكأنها صدمة كهربائية، فلم يشعر بها «خالد» إلا عند توقُّف السيارة أمام منزل صغير تحت الأرض مشيد بطريقة عجيبة ... يبدو فيها وكأنه قلعة صغيرة.

هبط العميل «الأفعى» من السيارة، وهبط بعده «خالد»، وسار بخطوات ثابتة من خلفها السائق النحيف باتجاه المنزل الصغير الذي غمرَته إضاءة أحد المولدات الكهربائية الذي لا صوت له.

لم يكَد «خالد» يخطو بداخل المنزل حتى دوَّى رنينُ أحد الأجراس، ثم أُضيئَت لمبة حمراء في مواجهة الدهليز الصغير المؤدي إلى صالة المنزل.

اندفع على الفور مجموعةٌ من الرجال في اتجاه «خالد»، وأخذَت تفتِّشه جيدًا، وسرعان ما جرَّدوه من مسدسه الصغير الألماني الصنع، بعدها أذنوا له بالدخول حيث أشار له العميل «الأفعى» إلى أحد الكراسي المنتشرة ببهو المنزل، وصاح بلهجة آمرة: اجلس هنا.

وأطاع «خالد» أوامر العميل «الأفعى»، وجلس على الكرسي دون أن يتحدث.

فجأة ساد الظلام كل أنحاء المنزل، وأخذ «خالد» يفرك عينَيه لحظاتٍ عسى أن يرى شيئًا دون جدوى، ثم شعر بأن الأرض تتحرك من تحته دقائق معدودة أفاق «خالد» بعدها ليجد نفسه على نفس الكرسي، ولكنه في مواجهة الزعيم «رومايرو» الذي كان يبتسم ويراقب انفعالاتِ «خالد»، وقال وهو يرحب به: إنني أعتذر مقدَّمًا يا مستر «كردغلي»، ولكن هذه هي الإجراءات المتبعة لأيِّ شخص يدخل قلعة الأسرار.

قال «خالد»: لا بأس ... ولنبدأ إذن في الاتفاق.

صاح مستر «رومايرو»: لا تكن متعجلًا يا صديقي؛ فلدينا متسع من الوقت نُنهي فيه كلَّ الاتفاقات ... فلنا شروط ... ولك أيضًا ... ولا بد من دراسة كل شيء، ثم أكمل وهو يضحك: أليس كذلك؟

أجاب «خالد»: نعم إن ما تقوله صحيح، ولكني في عجلة ... من أمري، وأعواني ينتظرون الشحنة على أحرِّ من الجمر ... فضحك «رومايرو»، وقال: أعرف ذلك، ثم ضغط على زرٍّ صغير بجانبه، فانفتح أحد حوائط الغرفة، وخرجت منه عربة صغيرة تسير أوتوماتيكيًّا وعليها كيس صغير الحجم به مسحوق أبيض اللون.

قال «رومايرو»: هذه هي النوعية ... افحصها وجرِّبها إن شئت.

أمسك «خالد» بحفنة صغيرة من المسحوق الأبيض بين أصابعه، وصاح: إنها ليست جيدة يا زعيم. فضحك «رومايرو» وهو يقول: كيف عرفتها يا مستر «كردغلي»؟ قال «خالد»: نحن لم نتفق على الخداع، وكل شيء يسير بشرف المهنة.

قال «رومايرو» وهو يحدق في «خالد»: صحيح يا صديقي ... في نفس الوقت الذي انفتح فيه الحائط مرة أخرى، وعادت العربة الصغيرة إلى مكانها، وأُغلق الحائط من جديد.

قال «خالد» وهو يتظاهر بالهدوء ... لكن متى سألتقي بالسيد «لوكا»، فاتسعَت عينَا «رومايرو»، وانتفض بسرعة وكأن تيارًا كهربائيًّا قد مسَّه ثم قال ... مخاطبًا «خالد»: ماذا تقول مستر «كردغلي»؟ ثم أكمل في كلمات متقطعة ... الزعيم «كارلوس»!

إن ذلك مستحيل؛ فالزعيم لا يراه أحد مطلقًا ... ثم نظر إلى «خالد» بحدة وقد تطاير الشرر من عينَيه وقال وقد تغيرت لهجته تمامًا: كيف علمت بالزعيم «لوكا برازي»؟!

فقال «خالد» ببرود: لماذا الغضب أيها الزعيم؟

أتظن أنني صغير ... ثم أكمل: إنني أعرف كلَّ شيء عنكم؛ ولذلك أتعامل معكم ... ألَا تعرف أنني ملك «المارجوانا» في منطقة «الشرق الأوسط» بأكملها ... إنني جئت كي أعقدَ الصفقة الكبرى عشرين مليون دولار ...!

فجلس «رومايرو» من جديد وهدأت قسماتُ وجهه ... ثم أكمل: فلنجعل الصفقة خمسة عشر مليون دولار، ثم ابتسم في خبث ...

ففهم «خالد» ما يقصده «رومايرو»، وقال وهو يبتسم: لا بأس يا زعيم! على أن أقابل الزعيم «لوكا»، ثم لا بد أن تكون البضاعة سليمة، وقف «خالد» ومن بعده «رومايرو» وسارَا معًا بضع خطوات قال خلالها «رومايرو» لـ «خالد»: لا تكن قلقًا بشأن الإجراءات التي سوف نتخذها معك عند خروجك، وأعدك ببحث الأمر مع الزعيم على أن أبلغك سريعًا، ثم ضحك وهو يسأل في براءة: أين سكرتيرتك الجميلة؟

فابتسم «خالد» وهو يقول: سكرتيرتي لا تعلم شيئًا عن طبيعة عملي ... هي فقط تُشرف على الإجراءات المالية.

ضحك «رومايرو» وهو يقول: إنني أريد سكرتيرة مثلها.

قال «خالد»: هذه صفقة أخرى سندرسها فيما بعد، وما إن مدَّ «رومايرو» يدَه مصافحًا «خالد» وهو يقول إلى اللقاء مستر «كردغلي» حتى شعر «خالد» بأن الأرض تغوص به ... ثم أحسَّ أنه يسير أتوماتيكيًّا في ظلام دامس، إلى أن سطع النور بوجهه وشعر بهواء نقي يملأ رئتَيه، شاهد بعدها العميل «الأفعى» ومعه سائق السيارة «البورش» الحمراء.

ضحك العميل «الأفعى» وهو يعدِّل من وضع نظارته الطبية، وأشار لـ «خالد» وهو يقول: تفضل يا مستر «كردغلي»؟

صَعِد «خالد» إلى السيارة التي دار محركها، ثم انطلق بأقصى سرعة باتجاه العاصمة «بوجوتا»، كان الشياطين في تلك الأثناء في غاية القلق على «خالد» ... فقد انقطع إرسال جهاز اللاسلكي فجأة، وظل «باسم» ومعه «زبيدة» يحاولان عملَ أيِّ شيء، ولكن إشارة الجهاز كانت واضحة، وفجأة صاح «مصباح»: الجهاز عاد ليستقبل الذبذبات، فقالت «زبيدة»: فربما «خالد» في طريق العودة.

فرح الشياطين عندما زادت الذبذبات المستقبلة التي ظلت في حالة زيادة دائمة مما يؤكد اقتراب «خالد».

توقَّفت السيارة «البورش» أمام الفندق، وهبط «خالد» منها، وودَّعه العميل «الأفعى» قائلًا: وداعًا أو إلى اللقاء يا سيد «صفر». وانطلقَت السيارة بسرعة!

صعق «خالد» عندما سمع ... فماذا يقصد هذا العميل؟ ... هل اكتشف حقيقة زعيمهم الخفي رقم «صفر»؟ إن ذلك يعني نهاية المنظمة.

صَعِد «خالد» إلى غرفته حيث كان الشياطين في انتظاره، وكانت المفاجأة الأخيرة قد هزَّته بعنف، فتهاوى على أقرب مقعد، وظل ساهمًا وقد فقد القدرة على التفكير.

وما إن بدأ الحديث وأخبر الشياطين بما حدث حتى حدقوا جميعًا في الفراغ وهم يقولون في صوت واحد: مستحيل ... إذن ذلك هو المستحيل نفسه!

صاحَت «زبيدة»: ما العمل الآن؟

وكان الصمت المطبق هو الجواب الوحيد على تساؤلها!

العميل الأفعى!

كانت كلمات العميل «الأفعى» لها أكبرُ الأثر في نفوس الشياطين؛ فلم يكن من قبيل المصادفة أن يودع «خالد» قائلًا: إلى اللقاء يا سيد «صفر»!

فالزعيم لا أحدَ يعرف حقيقتَه مطلقًا ... فكيف توصل هذا العميل العربي إلى سرِّ الزعيم الغامض ... لقد حار الشياطين في تفسير هذا اللغز ... وبات كلُّ تحرُّكٍ لهم محسوبًا بدقة، كانت ساعات النوم التي تأتي في أخريات الليل قد أجهدَت الشياطين من السهر، فخلدوا جميعًا إلى النوم عدا «خالد» الذي ظل ساهرًا ... يعيد ترتيب الحسابات، ويسترجع شريط الأحداث الذي مرَّ بها وقلعة الأسرار المقامة في باطن الأرض في مكان لا يعرفه أحد ... ثم الوسائل التي اتبعت لتضليله.

قام «خالد» وأعدَّ لنفسه كوبًا من الشاي، ثم جلس في شرفة الفندق يراقب حركة السيارات الساهرة وهي في طريق العودة ... وأضواء العاصمة «بوجوتا» الصفراء تُحيل المباني إلى أشباح باهتة ... كان كلُّ ما يشغل «خالد» ما قاله العميل «الأفعى»، ثم كيف يواجه هؤلاء الأشرار المحصنة بداخل القلعة «قلعة الأسرار» ... في نفس الوقت الذي أخذ يتخيل فيه الزعيم ذا السبعة أرواح ... «لوكا برازي» أو «كارلوس روبيرتو» ... وهل هو الحقيقي فعلًا؟ أم أنه مجرد شبيه آخر يحاول لعب دور الزعيم؟

أسئلة كثيرة دارَت برأس «خالد» ... وكانت تبحث عن الإجابات دون جدوى ... ثم هناك شيء آخر يتعلق بـ «كازان» أو «سولا» كما ناداه «رومايرو»؛ فقد اختفى دون مبرر، ولم يَعُد الرجل الذي يعتمد عليه ... فهل اكتشف أمره أم أن اختفاءه شيء محسوب لصالح المغامرة؟! كانت الساعة تشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل حين أوى «خالد» إلى فراشه ورأسه يدور من كثرة الأسئلة التي تبحث عن إجابات.

وحمل الصباح الباكر مفاجأة لم تكن بحسبان الشياطين مطلقًا ... بل إنهم جميعًا راحوا في حالة من الذهول وعدم التصديق ... لقد عثروا على رسالة ملقاة من أسفل الباب ... وكانت الرسالة بلغة الشفرة السرية التي لا يعرفها سواهم ... كانت تقول: من رقم «١» إلى الشياطين الـ «١٣» ٥٥٠٠–٣٢–٣٤ «وقفة» ثم ٦٥–٢٤–٢٦–٢٨–١٠ «وقفة» ... وأخيرًا ٣١٤–٣٠٦–٣٠٠–١١٥ ... وانتهَت الرسالة الشفرية، ولم تصدق «زبيدة» نفسها وهي تقوم بحل رموز الشفرة؛ فقد كانت تقول: من الشيطان رقم «١» والمقصود به «أحمد» إلى مجموعة الشياطين الـ «١٣»... إنني العميل «الأفعى» ... لقد جئت خلفكم بناء على تعليمات الزعيم وهي مفاجأة لي قبل أن تكون مفاجأة لكم ... إنني أعمل الآن مع مستر «رومايرو» وهو تاجر محترف في البودرة البيضاء ... وهو أحد المقربين إلى الزعيم الحقيقي «كارلوس روبيرتو» إنني على وشك الوصول إلى مكان «كارلوس» أو «لوكا برازي» الحقيقي ... وانتظروا مني رسائل أخرى لتوحيد عملية القبض على الزعيم الذي مات سبع مرات ... وانتهت إلى هنا رسالة «أحمد».

كان «خالد» لا يصدق نفسه، وراح يضرب كفًّا على كف، فكيف خدعه «أحمد» بهذه الدرجة، لقد أتقن التنكر لدرجة أنه قد لا يعرف نفسه.

وارتفعَت روح الشياطين المعنوية، وجلس «خالد» لوضع خطة الاقتحام لقلعة الأسرار ... في حالة وصول تعليمات جديدة من «أحمد» أو العميل «الأفعى».

طالَت فترة انتظار الشياطين ... ولم تصلهم أية رسالة جديدة، فبدأت نوبات الشك تُطاردهم من حين إلى آخر ... فهل اكتشفت حقيقة «أحمد»؟

كان الوقت يمضي مسرعًا وحالة التوتر تزداد، وفجأة ظهر «كازان» من جديد ... كان شكله هذه المرة مختلفًا تمامًا عندما قابل «خالد» في «النادي الدولي» ... قال والكلمات تخرج من فمه مرتعشة: إنها المرة الأخيرة التي أساعدكم فيها ... لقد طلب مني الزعيم «رومايرو» بتوصيل هذه الرسالة لك ... فهو يريد إنهاء الصفقة حالًا لأنه قد يغادر «كولومبيا» إلى مكان آخر ... وسيرسل لك أحد أعوانه للاتفاق على كل شيء في هذه الزيارة التي ستقوم بها إلى مقره الذي لا يعرفه أحد.

فقال «خالد» لـ «كازان»: وماذا عن العميل «الأفعى» ... أو العميل العربي الذي يعمل لخدمة «رومايرو»؟! ...

فقال «كازان» ليس لديَّ أية معلومة عن هذا العميل سوى أنه أصبح من المقربين جدًّا للزعيم الغامض «لوكا» السحري.

قال «خالد»: ومتى سألتقي بالزعيم «رومايرو»؟

ردَّ «كازان»: ربما غدًا أو بعد غد.

قال «خالد»: ولكنني لا أعرف كيف سأذهب لملاقاة الزعيم «رومايرو» بدونك!

ضحك «كازان»: وهو يردد ... سوف تعرف، ثم أكمل: إنك على درجة عالية من الذكاء، ولا تنسَ يا صديقي أنني أعمل لصالح منظمتكم، فكن مطمئنًا لكل ما أقوله لك.

نهض «كازان» وقال لـ «خالد»: انتظر مبعوث الزعيم «رومايرو»؛ فقد يأتيك في أي وقت.

شكر «خالد» «كازان» وقال: سأنقل ما فعلته معنا ومن أجلنا إلى الزعيم ... وأكمل: ولكن هناك رجاء آمل أن تستطيع تحقيقه، فهو مهمٌّ للغاية.

قال «كازان» وهو يتجه إلى باب الخروج من «النادي الدولي»: وما هو يا مستر «كردغلي»؟

ابتسم «خالد» وهو يقول: نريد سيارة ... فقط سيارة قوية ...

ردَّ «كازان»: وهل تنفعكم سيارتي؟!

قال «خالد»: لا بأس إذا كانت بحالة جيدة.

ابتسم «كازان» وهو يقول: نعم في حالة ممتازة وصاحبها ... ثم ضحك وهو يُكمل حديثه: هي ملك لكم منذ هذه اللحظة.

كانت سيارة «كازان» من النوع السويدي وهي السيارة «الفولفو» الشهيرة ... كانت سوداء اللون وموتورها بحالة جيدة، وبعد أن فحصها «مصباح» قال لـ «خالد»: إن سيارة «كازان» قوية، لكنها ليست مريحة.

قال «خالد»: إننا لا نريد منها سوى أن تكون قوية ... وأكمل: فنحن كما تعرف لا نبحث عن الراحة.

قال «مصباح»: أعرف يا صديقي، لكني أتحدث بشكل عام، فكلما كانت السيارة مريحة كانت مرغوبة أكثر، والدليل على ذلك أن السيارات «المرسيدس» تحقِّق أعلى المبيعات؛ لأنها تجمع بين المتانة والراحة في نفس الوقت.

بعد أن فرغ «مصباح» من إعداد السيارة «الفولفو» للمهمة الغامضة اجتمع الشياطين بغرفة «خالد» ... لقد أصبحت الأمور تسير إلى الأسوأ ... فلا مبعوث السيد «رومايرو» حضر، ولا ثمة أخبار جديدة من «أحمد».

كانت ساعة الفندق الحائطية تُعلن عن الثامنة مساءً حين دق باب الغرفة، فقام «رشيد» وفتح الباب ... وكان الجرسون الذي يعمل بالفندق واقفًا أمامه، وقد مدَّ يده

برسالة أخذها منه «رشيد» بسرعة، ثم أغلق الباب، وفتح الرسالة ... كانت تقول: استعد يا مستر «كردغلي»، اللقاء اليوم في العاشرة أمام الفندق ... وانتهت الرسالة ... وقام بعدها الشياطين بتجهيز أسلحة المهمة، وقد تأكد كلٌّ منهم من وجود علبة السحب الرمادية السحرية أو السلاح الجديد الذي يُستخدم لأول مرة.

وما إن أشارت الساعة إلى العاشرة حتى أسرع الشياطين بالهبوط من الفندق، والانتظار بالسيارة «الفولفو» السوداء.

كانت الخطة تقتضي أن يقتحم الشياطين «قلعة الأسرار»، وخاصة بعد أن انقطعت أخبار «أحمد»، فلم يكن أمامهم أية خيار ...

كان مستر «كردغلي» واقفًا بمفرده، وبعد ثوانٍ انضمت إليه «زبيدة» سكرتيرته الخاصة، ولم يقفَا طويلًا، فقد اقتربت منهما السيارة «البورش» الحمراء، وأطل منها سائقها، ثم قال بلهجة إنجليزية غير سليمة: مرحبًا بكم مستر «كردغلي» ... ولم يُجبه «خالد»، بل فتح باب السيارة «البورش»، وصَعِد ومعه «زبيدة» لتنطلق السيارة «البورش» باتجاه «كالي».

كان قائد السيارة هو نفس القائد الذي قام بتوصيل «خالد» إلى «قلعة الأسرار»، وكان من الواضح أنه شديد الذكاء صارم القسمات برغم نحافته، ولكنه كان بارعًا في قيادة السيارة التي راحَت تلتهم الطريق المتعرج باتجاه «كالي»، في نفس الوقت الذي صارت خلفه السيارة «الفولفو» السوداء التي يقودها «مصباح»، والذي جعل هناك مسافة ثابتة بينه وبين السيارة «البورش» حتى لا يلفتَ نظرَ السائق.

استمرت مسيرة السيارتَين ساعتين ونصف، وظهرَت من بعيد المدينة الصغيرة «كالي» التي تحوطها الأشجار من كل مكان ... انحرفَت السيارة «البورش» يمينًا من طريق ضيق غير ممهد ... يعلو ثم ينخفض فجأة، وقد ارتفعت خلف عجلات السيارة سحبٌ كثيفة من الغبار الناعم ... ووصل «مصباح» بالعربة «الفولفو» إلى نفس الطريق، وظل سائرًا، وهدأ من سرعة السيارة حتى يحافظ على المسافة بينه وبين السيارة «البورش» ... وكان أغرب مشهد رآه الشياطين عندما اختفت السيارة «البورش» الصغيرة وكأن الأرض قد ابتلعتها ... وصاح «رشيد»: إنني لا أصدق نفسي، لقد كنت أراها الآن!

وردَّ «باسم»: من الواضح أن هناك بوابة صخرية تفتح أتوماتيكيًّا بمجرد وصول السيارة ... كما قال «خالد»!

فقال «مصباح»: وما العمل الآن؟!

اقترب «مصباح» بالسيارة «الفولفو» إلى المكان الذي اختفت فيه السيارة «البورش» الحمراء التي كانت تنقل «خالد» ومعه «زبيدة»، هبط الشياطين من السيارة، وراحوا يفحصون المكان وقد ارتسمَت الدهشة على وجوههم.

فجأة شعر الشياطين بحركة من خلفهم، وسمعوا بعدها أحد الرجال وهو يقول: مرحبًا بكم، لقد جئتم إلى مثواكم الأخير أيها العفاريت!

كان الموقف في غاية الصعوبة؛ فعشرة رجال مسلحين يحوطون بالشياطين من كل جانب وقد تطاير الشرر من أعينهم ... اقترب أحدهم وكان طويل القامة مفتول العضلات وشعره مجعد يتناثر فوق رأسه بطريقة غريبة ... وشهر مسدسه في وجه الشياطين، ثم صاح: ارفعوا أيديَكم، ولم يكد ينتهي من جملته حتى التفَّ الرجال التسعة الباقون حول الشياطين ... نظر «مصباح» إلى «باسم» و«رشيد»، وتلاقَت عيونهم لحظات، ثم رفعوا أيديَهم وهم يرددون: «أوكيه»، ومعناها بالإنجليزي: «تمام» ... أو «سمعًا وطاعة» ...

وسرعان ما أمسك كلٌّ ثلاثة رجال بواحد من الشياطين واقتادوهم بضع خطوات للأمام، وفجأة انفتحَت إحدى البوابات الصخرية ... ودفع الرجال الشياطين إلى الداخل، حيث كانت بانتظارهم سيارة صغيرة أقلَّتهم ومعهم ثلاثة حراس إلى «قلعة الأسرار»، وهناك كانت المفاجأة بانتظارهم ... لقد اكتشف «رومايرو» حقيقة مستر «كردغلي» ومعه سكرتيرته «زبيدة» ... وضحك «رومايرو» بصوت وهو يردد: بضعة شباب صغار يحاولون الضحك على الزعيم، ثم ارتفع صوت ضحكاته المزوجة بحقد الانتقام ... قال وهو يسدِّد النظرات النارية إلى «خالد»: أتريد خداعي يا مستر «كردغلي»، ولم يُجب «خالد»، بل ظل صامتًا يفكر في الخطوة المقبلة ... وكان كل ما يشغله هل اكتشف «أحمد» أيضًا؟ وكانت الإجابة بالنفي عندما دخل العميل «الأفعى» إلى القاعة، وقال «رومايرو» وهو يداعبه: هل حان وقت لقائهم بالزعيم «لوكا»؟! فقال العميل «الأفعى»: نعم يا سيدي «رومايرو» سيراهم بعد لحظاتٍ قبل أن يذهبوا إلى بئر الأفاعي ... وضحك بصوتٍ عالٍ وهو يردد: إخواني الأفاعي ... ستكون الوجبة دسمة هذه المرة، وخاصة ومعهم فتاة جميلة، واقترب من «زبيدة» وهو يهزُّها بعنف ويضحك في هيستريا.

كان «أحمد» أو الرجل «الأفعى» يقوم بأداء دوره بشكل غريب حتى إن الشياطين تخيلوا أن هذا خطأ ما، وأن هذا العميل حقيقي وليس «أحمد» ... سمع بعدها الشياطين صوت جهاز الهدفون وهو ينادي على العميل «الأفعى» قائلًا: ائتني بالمخادعين.

في نفس الوقت الذي وقف فيه «رومايرو» مرعوبًا ... وردَّد بعد أن سكت جهاز الهدفون: إنه صوت الزعيم «لوكا»، فقال العميل «الأفعى»: لا تخف مستر «رومايرو»؛

فالزعيم لم يقصدك أنت ... ولم يكَد ينتهي الرجل «الأفعى» من كلماته حتى اقتحم القاعة مجموعةٌ من الحراس المدججين بالسلاح، واقتادوا الشياطين يتقدمهم «خالد» و«زبيدة»، بينما صاح الرجل «الأفعى»: بسرعة أيها الجبناء!

سار الشياطين في دهليز صغير بضع خطوات، ثم توقفوا بناءَ على الأوامر التي صدرَت إليهم، وفجأة تهاوت الأرض تحتهم، وشعروا بعدها بأنهم يسيرون أوتوماتيكيًّا في مكان مظلم، ثم ارتفعت الأرض بهم مرة أخرى ... وارتفعت أحد الحوائط العملاقة أمامهم ليشاهدوا أغرب ما رأوا في حياتهم.

النهاية!

كان الزعيم «لوكا» الرهيب يجلس على كرسيه ... ويشاهد أحد المناظر البشعة عبر شاشة عرض داخلية ... كان «رومايرو» يصارع مجموعة من الذئاب المتوحشة ... كان يركض بسرعة ومن خلفه أحد الذئاب ينهش في جسده ... فيتأوه ويحاول الخلاص منه فيندفع إليه أحد الذئاب الأخرى ... بينما جلس الزعيم في حالة سعادة غامرة وضحك بصوتٍ عالٍ وهو ينظر للشياطين قائلًا: لا تتعجلوا، ستكونون مثله تمامًا، ولكن في بئر الأفاعي كان المشهد في غاية البشاعة.

فنظر «مصباح» ناحية «خالد»، ورأى الرعب مرتسمًا على وجه «زبيدة»، وضغط الزعيم «لوكا» على أحد الأزرار بجانبه، فهبطت أرضية الغرفة إلى القاع وفوقها الشياطين، وفجأة صعدوا مرة أخرى ... وقد ارتسم الرعب على وجوههم جميعًا ... قال «لوكا» الرهيب وهو يضحك: أنتم أيها الصغار تريدون الضحك على «لوكا»، ثم دوَّت ضحكاته من جديد.

ثم وجَّه سؤالًا إلى الشياطين: من أنتم؟! ولماذا جئتم؟! أكنتم ترغبون في إلقاء القبض على «كارلوس روبيرتو»، ثم ضحك مرة أخرى ... إنني متُّ منذ زمن بعيد، وسأعود للحياة بإرادتي، ثم توالَت ضحكاته في هيستريا ... وأخذ يسعل من كثرة الضحك ... كان «لوكا برازي» أو ... «كارلوس روبيرتو» رجلًا في منتهى الذكاء والأناقة، فضلًا عن وسامته، لقد سيطر هذا الرجل على معظم نشاطات تجارة المخدرات في العالم، وأحاط نفسه بمجموعة من الرجال الأقوياء الذين يحبونه بشكل جنوني؛ ولذلك فشلت كلُّ محاولات الانقلاب ضده أو القبض عليه ... كان الشياطين في تلك الأثناء مقيدين بسلاسل حديدية قوية، وقفوا جميعًا في حالة صمت لا يعرفون ماذا يحدث لهم في الدقائق القادمة!

فجأة سمعوا الزعيم «لوكا» وهو ينادي عبر الهدفون على العميل «الأفعى» ... وعلى الفور انفتح أحد الأبواب أتوماتيكيًّا، وظهر العميل «الأفعى» الذي حيَّا الزعيم ووقف

صامتًا، فقال له «لوكا»: عليك الآن بسحب اعترافات هؤلاء الأولاد قبل أن نشاهدهم في بئر الأفاعي ... فابتسم العميل «الأفعى» وهو يقول: سمعًا وطاعة يا سيدي.

واقتاد الشياطين إلى غرفة مجاورة لغرفة الزعيم، وهناك بدأ استجوابهم ... قال في لهجة سريعة: لقد وصلنا أخيرًا إلى الرجل الداهية، وعلينا بالتصرف بحكمة، وإلا فقدنا عمرنا جميعًا.

كان «أحمد» أو الرجل «الأفعى» يتحدث بالعربية إلى الشياطين وهو يعرف أن كل ما يدور الآن معروض على شاشة العرض في غرفة الزعيم فقط دون أن يفهم ماذا يقولون لأنهم يتحدثون بالعربية.

قال «أحمد»: سأصعد الآن لمقابلة الزعيم في غرفته العلوية، وسأقوم بعدها بفصل التيار الكهربي عن أنحاء القلعة، ثم ألقي بمفتاح صغير على الأرض، وقال: هذا مفتاح قيودكم، تحرَّروا منها بسرعة في الوقت الذي سينقطع فيه التيار الكهربائي ... سيتعطل بعدها كلُّ شيء بالقلعة المحصنة، وحتى الأسلحة التي تعمل بالكهرباء، وسنواجه لحظتها صراعًا مع الحراس الأقوياء الذين يقومون بحراسة الرجل الداهية «كارلوس روبيرتو»!

انتهى «أحمد» من كلماته، وصَعِد لمقابلة الزعيم «لوكا» الرهيب أو «كارلوس روبيرتو».

كان الزعيم مسترخيًا على سريره حين دخل عليه «أحمد».

قال الزعيم: لقد رأيتك وأنت تحاول مع هؤلاء الأولاد، هل توصلتَ لشيء معهم؟ فقال «أحمد»: نعم إنهم يحاولون كسب بعض الوقت ليتأخر نزولهم لبئر الأفاعي، ثم ضحك، وضحك معه «لوكا» الرهيب وهو يقول: فليذهبوا إذن الآن، فإني لا أهتز ولا أخاف، ثم ضحك بصوتٍ عالٍ وهو يعطي الأمر لـ «أحمد» بأن يذهب بهم إلى بئر الأفاعي.

اتجه «أحمد» إلى غرفة الكنترول الضخمة، وكان العامل ومعه حارس الغرفة يجلسان ويحتسيان كوبَين من الشاي. قال «أحمد» موجهًا حديثه إليهما: اصعدَا لمقر الاجتماعات. فأطاعَا الأوامر على الفور؛ فهما يعرفان قيمة الرجل «الأفعى» الذي اكتسب ثقةَ الزعيم في وقت قريب، وصار له الكلمة في «قلعة الأسرار».

وما إن صعد العامل وحارس غرفة التحكم في كهرباء القلعة حتى سحب «أحمد» أحد الأزرار التي تعطل كلَّ أجهزة القلعة، وساد الظلامُ لحظاتٍ قبل أن تُضاءَ الشموع، ويظهر الحراس العمالقة، ويتجهون إلى غرفة الزعيم العلوية.

لم يكن يتخيل «كارلوس روبيرتو» أن هناك محاولة انقلاب عليه، ولذلك ظل مسترخيًا إلى أن يعرف سبب العطل.

كان في تلك الأثناء قد تحرر الشياطين من قيودهم، واتجهوا بناءً على إشارة «أحمد» ... باتجاه غرفة الزعيم، كان هناك مجموعة من الحراس يزيد عددهم على الثلاثين، وصاحوا جميعًا وهم يرون الشياطين وقد تحرروا من قيودهم ... خيانة ... خيانة ... وسمع «كارلوس» صوت الحراس، فأمر بسرعة القبض على العميل «الأفعى» وهو يردد بالإنجليزية تارة وبالفرنسية تارة أخرى: مستحيل ... مستحيل.

بسرعة توجَّه الحراس وقد أمسك بعضهم بأسلحة نارية باتجاه الشياطين الذين اندفعوا ليشتبكوا مع الحراس.

ودارت معركة شرسة فاجأ الشياطين الحراس بالعلبة السرية التي تُصدر سحبًا رمادية تحجبهم عن الرؤية، وتعالَت صيحات الحراس: أشباح إننا نحارب شياطين ... عفاريت، وحسم الشياطين المعركة بسرعة، وأمسك «أحمد» ومعه «باسم» بالزعيم «كارلوس روبيرتو» الرجل الذي مات سبع مرات ... وكان على وشك الهروب من الدهليز الخلفي للقلعة.

بعد أن سيطر الشياطين على الموقف تمامًا في «قلعة الأسرار» ... ذهب «أحمد» إلى غرفة التحكم الكهربائية، وسرعان ما أضيئت الأنوار من جديد، وعلى الفور قام الشياطين بحبس كل الحراس، في الوقت الذي ذهب فيه «أحمد» وبصحبته «زبيدة» حيث أبلغَا السلطات عن مقر «قلعة الأسرار».

كان رجال البوليس في غاية الاندهاش وهم يرون هذه القلعة، وقد عقدت الدهشةُ ألسنتَهم فلم ينطقوا بحرف واحد.

بينما اندفع أحد الضباط إلى «أحمد» وبقية الشياطين وحياهم وهو ينحني للأمام ... ويقول: مستحيل ... ماذا فعلتم بالضبط؟ ثم كيف؟ وأكمل الضباط: أخيرًا تم القبض على «كارلوس روبيرتو» الحقيقي ...

هنـــداوي